على طريق الأصالة

(٢٥)

لن نقبل بمفهوم الغرب للفن والحضارة

أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

أن نقبل بمفهوم الغرب للفن والحضارة

[قال لينين : إن المسارح بديل الكنائس، وقد تحول هذا المعنى عند المستعمرين فحاولوا أن يجعلوا المسرح بديلا للمسجد]

لقد أصبح من الضرورى - اليوم - أن نواجه هذه القضية مواجهة صريحة صادقة ، فنحن من خلال مفهوم الإسلام لا يمكن أن نقبل مفهوم الغرب للفن والحضارة والجنس والمرأة والكشف وعلاقات الأسر وتبادل الزوجات وصديق العائلة وما إلى ذلك من مفاهيم أقام الغرب عليها مفهومه للفن والحضارة .

فللمسلمين مفهوم واضح للعفة والعرض يستمدونه من مقررات العقيدة التى تجعل الأخلاق جزءاً منها وتقيمها على أساس الثوابت وتقرر بها مجتمعاً يقوم أساساً على حماية وجوده الذاتى ويحفظ علاقاته العامة .

ونحن نعلم أن هناك محاولات دائبة ومؤامرات واسعة لفتح

الأبواب بالإغراء والخداع أمام أبنائنا وبناتنا للانخراط فى سلك هذه المؤامرة الواسعة التى تتركز الآن حول الجماعة التى تحمل لواء المسرح والرقص والغناء ، والتى تعمل على إغراء الأجيال الجديدة على اقتحام أبواب الفساد والإباحة عن طريق الإعلانات المغرية والرحلات التى تعبر البحر إلى الشاطىء الآخر بهدف أن تسقط هذه العناصر الغضة من الفتيات والفتية بالإغراء ووسائل الشهرة فى أيدى رجال الفن والمسرح بالعرى والجرأة وبذاءة القول والاهتزاز حتى يكونوا نجوماً جدداً ، وكم تكشفت من قصص هؤلاء من مفارقات وتجاوزات وتفريط فى كثير من القيم فى سبيل النجاح والقبول .

ونحن نعرف أن من وراء هذه المؤامرة كلها قوى عاتية تعمل على هدم مقومات الخلق والدين والعرض فى الأمم وكسب أكبر قدر من الشباب المفرغ الطلعة الطامح إلى مظاهر الحرية وبريق المادة وإغراء الشهرة من مجموعة الشباب الذى فشل فى مجال الدرس والعلم والكد الصحيح للحصول على الدرجة العلمية ، فإذا بهؤلاء يسبقون الأصلاء وتلمع أسمائهم ويحصلون على الشهرة والغنى والظهور ، فتنهدم بذلك المقاييس الصحيحة وترجح كفة أهل الهوى والأهواء حتى انقلبت الموازين فأصبح هذا المسرب أكثر عطاء مادياً من ميادين العلم والجد .

ولقد كانت هناك كلمات تقال خداعاً وتضليلا وكذباً وبهتاناً :

وما تزال تتردد حتى صدقها الناس ، تلك هى كلمات الفن وقداسة الفن وكرامة الفن ، وما كانت هذه الألاعيب فى الحقيقة فناً بمفهوم العلم الصحيح ولكن كل هذا الذى يجرى لا يزيد عن أن (عملية إضحاك وخيانة تافهة ، تستخدم فيها كل وسائل العبث والانحلال مع العبارات الرديئة والحركات المخزية ، فى سبيل إضحاك الناس على نحو ليست له ضوابط أو قيم أو أوضاع محددة ، وهى بذلك تتعارض مع أصول (فن الترويح) الحقيقى الذى يقوم أساساً على السماحة والبراءة والنقاء والذى يدخل السرور بحق على القلوب دون أن يفسد أى قيمة من قيم المجتمع ، أو يهدم أى ركن من أركان الأخلاق .

والذى نعرفه أن هذه الوسائل من الإضحاك قد بلغت حداً بالغ الإسفاف والسفه والإفساد من حيث عرض إيماءات لا يقبل الرجل الشريف أن يسمعها أو يراها أهله أو بناته ويخشى منها على الخلق الصحيح ، وأن الكلمات التى تتردد والحوار الذى يقدم فى هذه المسلسلات قد وصل إلى أدنى ما يمكن أن يتداوله الصعاليك والسفلة فى بعض الحوارى ، فإذا أضفنا إلى هذا ما عرف وكشف من سير هؤلاء الذين يقدمون هذا العبث وما يجرى فى حياتهم الخاصة وهو أمر معروف ومكشوف وجدنا إننا نضع أبنائنا وبناتنا فى جو ردىء تماماً ونجد أن وضع هؤلاء الراقصين والمغنين والممثلين - كما تجادل الصحافة - فى مكان النماذج العليا والمثل الرفيعة جناية كبرى ، وأخطر من ذلك أن تبدو كلماتهم وإجاباتهم بمثابة الحكمة البالغة والمثل الذى

يتردد مما يضعف أمام بعض الشباب المفرغ من مفاهيم القيم الإسلامية وقليلى التجربة والعابثين والفاشلين ، فإذا عرفنا هذا كله عرفنا إلى أى حد بلغ مدى الخطر الذى يتهدد الأجيال الجديدة فى هذه الأمة التى حذرها دينها من الوقوع فى الشباك كالفراش المتهافت على النار .

وأقل ما توحى به الصورة أن هذا العبث فى العلاقات بين الرجل والمرأة وهذا الأسلوب النازل فى الحوار هو من الأمور المشروعة التى يمكن أن ترددها كل الألسنة ، فضلا عن أن عملية الترويح والإضحاك الذى تقوم بها هذه القوى هى عملية إضحاك كاذبة وخادعة ومفتعلة ، لأنه أشبه بمخدر يستغرق فيه المرء ساعة أو بعض ساعة ثم لا يلبث أن يعود إلى واقعه .

أما مفهوم الترويح الإسلامى وليس الترفيه ـ فإنه يستمد مقوماته من عملية قبول ورضى بالواقع واستشراف الفرح فى المستقبل وأن الثمرات تأتى ثم ينجابين وأن الفرح بعد الشدة ، وتلك مفاهيم تدخل السرور والتفاؤل الحقيقى على النفوس .

والعجيب أن هذه الدائرة المظلمة تحاول أن تحاصر المجتمع كله فلا يقتصر على المسرح أو التلفاز ، وإنما يمتد إلى الصحافة والقصة والترجمة ويقدم فى هذا المجال ما يسمى بالروايات العالمية الحافلة بالسموم والمرتبطة بالجنس والجريمة ، فى وقت واحد على نحو تحس

معه أن هناك مزامرة مبيتة حيث توصف الأعضاء التناسلية فى جرأة بالغة ـ ويستعان فى مكر ما يدور فى غرف النوم مما يسمى بأدب الفراش ، وليس هذا بغريب على الأمم الأوربية التى قد تجـــده فى حواشى بعض الكتب المقدسة ولكنه غريب علينا نحن المسلمين وتتقزز له نفوسنا ، وقد سجل القرآن الكريم ظهور الفساد فى الأرض (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) وكيف أن هناك قادة لهذا التيار يدعون الناس إليه وهم موجودون فى كل عصر (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) .

إن هناك مفارقة واضحة بين طابع الأمم الغربية التى ورثت هذا التراث المشحون بالإثم والفاحشة والكشف وقصص الجنس والجرعة والاندفاع نحو اللذات والشهوات ، ليس فقط فى أساطير الإغريق المفترعة بل بما حفلت به الكتب المقدسة فى سفرى إستير وحزقيال بما حوت من الحديث عن اللواط والإباحة فى الأرض والفن وزنا المحرم على حد تعبير المبشر الإسلامى ديدات حين كشف ذلك فى محاورته المشهورة .

إننا نحن المسلمون لا نقر مفهوم الحضارة الغربية فى الفن الإباحى الفاجر الماحق الذى تختلط فيه الرقص بالغناء بالخمر بالاختلاط الفاحش غير المهذب ، وحين نقول هذا بكل صراحة تختلف مع الغرب ومفاهيمه وقيمه التى يريدون أن يفرضوها علينا ، فالحضارة

لدينا لها مفهوم سمح كريم راق عفيف بعيد كل البعد عن الفسق والفاحشة ، قائم على الخلق والكرامة وحماية العرض .

إن مفهوم الترويح يجب أن يرتفع فوق الفسق والفجور والدعارة التى تفرضها هذه المؤسسات القائمة على استباحة الحرمات والمقدسات ولا بد أن يكون واضحاً أمامنا أن الإسلام قد وضع حدوداً وضوابط وحجب صنائع ، وحرم على المسلم العمل بها أو قبولها فى مجتمعه ، ووصف الذين يعملون فيها بأنهم يقبلون الدنية عن دينهم وأن بعضهم يمكن أن يوصف بأنه (ديوث) ويجب أن نبدأ ذلك من المدرسة فلا يفرض الرقص والغناء والتعرى على طالبات المدارس وهن غير راغبات ولا توجه المسابقات الغربية لما يسمى الوجود الجديد لخطف الفتيات البريئات من الأسر الآمنه الغافلة لتسليمها للعتاة والظلمة الذين يفرضون على كل من يعمل أن تسلم جسدها ونفسها كاملة لسيدها وقديسها المدرب والمخرج .

ولقـــد كشفت الأحداث ثغرة فى جدار هذا المعقل المشيد ، ومهما تكن عند امرىء من خلقية وإن خالها تخفى على الناس تعلم ، وهذا سر انزعاجهم وثرثرتهم حول ما يسمونه الفن والحضارة ، إنهم يريدون حماية هذا المورد بكل ما يملكون لأنهم يعلمون أنه المنطلق الوحيد لتحقيق آمالهم فى هدم مقومات هذه الأمة وتدمير قيمها ، إن هذا المجال الذى يسمى بالفن هو المرفأ الأول والأخير لتحقيق

غايات الماسونية وبروتوكولات صهيون وعمليات التعريب والغزو الثقافى والسيطرة على العقل المسلم والوجدان المسلم واحتوائهم وتفريقهما من الدين والإيمان واليقين والخلق وملئهما بالشكوك والإباحة والرجس والفسق ، هذا هو سر فزعهم الشديد وحملتهم الضارية ، وتكاتفهم فى الدفاع عما سموه زوراً وبطلاناً قدسية الفن) وهى قدسية الإباحة والفساد فى الحقيقة .

وهناك فى مجال الصحافة من يحمى هذا التيار ويدافع عنه إيماناً بأن هذه الأمة لن تغرب إلا من هذا الطريق ، ولكن كل الدلائل تثبت أن هذا الصرح على وشك أن ينهار لأنه قام على الباطل :

(أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم)



تقبل الإسلام لكل معطيات الحياة

هى قاعـــدة أساسية : نعم ولكن بشروط وضوابط

القاعدة الإسلامية الأصيلة هو تقبل الإسلام لكل معطيات الحياة التى تحقق وجود الإنسان لا يرفض منها شيئاً ولكنه يصوغها فى مفهوم مستقل متحرر عن طابعها عند الأمم الأخرى والفلسفات المختلفة ، فليس فى الإسلام بسماحته وسعة آفاقه رفض لمعطيات الحياة ولكنه من الناحية الأخرى يضع ضوابط وحدوداً لخطوات التعامل وأساليب التناول .

ومن هنا فليس الإسلام فى حاجة كبيرة إلى محاولات من كتبوا ليقنعوا الناس بأن الإسـلام يقر مفهوم الترويح عن طريق الفنون ووسائل إدخال البهجة على النفوس فذلك أمر مسلم به تسليما كاملا وحقيقياً فى شريعة الإسلام ولكن وجه الاختلاف هو فى الأسلوب الذى تعدم به هذه الفنون ووسائل أدائها ، وكيف يمكن أن تكون مؤازرة للفطرة لا مضادة لها ، وأن تكون متقبلة من وجهة نظر الدين أساساً .

إن هذه الصورة التى تقدم بها الفنون فى عصرنا وفى مجتمعنا لا يمكن أن تتطابق مع الصورة التى يضرب بها المثل عن عهد رسول الله

أو عهد الصحابة الأكرمين ، وهى ليست تطوراً طبيعياً لفنون الإسلام التى كانت فى مراحل تطورها حريصة على ألا تخرج عن جوهر الإسلام ولا تصادم حدوده وضوابطه .

ويرجع ذلك إلى أن النفوذ الأجنبى فرض أسلوبه وطابعه ونظامه كله وخاصة فى مجال الفنون وما يتعلق بالعواطف والوجدانات من منطلق غربى عصرى واضح هو منطلق الكشف عن الشهوات والإباحة والحرية المطلقة فى الانطلاق نحو الأهواء وإعطاء الغرائز حريتها فى الحركة دون أى حدود ، وقد نتج هذا من منطلق الفلسفة المادية والجنسية التى ألغت مفهوم الضوابط الأخلاقية والحدود المتصلة بالقيم وأطلقت الوحش فى الإنسان ، حين ادعت نسبية الأخلاق وربطتها باختلاف المجتمعات والعصور ، فى حين أن الأخلاق قيم ثوابت متصلة بالعقيدة والدين لاتخضع لقانون المتغيرات ومن منطلق مفهوم فرويد للجنس وداروين للحيوان ودوركايم للاجتماع ، تشكل هذا الفن الغربى الذى غزا بلادنا غزواً شديداً وسيطر على فنوننا الأصيلة السمحة فكان منها ذلك (التخت) الضخم الذى تشكل من مائة عازف بعشرات الآلات الموسيقية وتلك الأغانى الراقصة المتمايلة ، وما تثير من الشهوات ، فكيف يمكن أن يكون هذا أمراً يدافع عنه أو يصور على أنه مما سمح به الإسلام من الفنون .

إننا نعرف من قراءاتنا فى تاريخ الفنون فى الغرب وتاريخ الموسيقى

بالذات أنه فن كنسى بدأ أول أمره مع نواقيس كنائس الغرب ، وكان من معطيات إغراء الناس على العبادة وما كان شتراوس أو فاجنر أو بتهوفن إلا كنائسى الموسيقى أساساً ، ثم تحولوا قليلا مع الاحتفاظ بذلك الطابع الصاخب الذى يهز النفوس .

ولقد نجد أن هناك خلافاً أساسياً وجذرياً بين الذات الإسلامية والذات الغربية فى مواجهة هذه الفنون ، فالمسلمون يتناولون هذه الأمور فى بساطة ويسر ويشكلونها فى وجدان المؤمن وفى الحفاظ على العقيدة وفى حدود ما قرره الإسلام من حماية لوجود المسلم وعقله من الإغراق فى كل مايثير الشهوات ، بينما تتشكل كل الفنون فى الغرب حتى الفنون المتصلة بالعبادة فى جو الصخب والأضواء الصارخة والشموع المرتفعة والبخور والعطور والمبالغة الشديدة التى يراد بها كسب عواطف الناس ومشاعرهم .

وهـــذا خلاف جذرى فى مفاهيم المسلم ووجدانه فهو يعاف الاستسلام لهذه الأجواء ويصد عنها بفطرته البسيطة السليمة الحريصة على مخافة الله تبارك وتعالى فلا شك أن إقرار المسلم لهذه الظاهرة الخطيرة المصاحبة لحفلات الموسيقى من صخب ومن إسراف ومن آثاره كل هذا لا يتفق مع مفهوم الإسلام للفن أو للموسيقى .

ولعل أخطر ما يتصل بهذا مما يراد أن يفرض على المجتمع المسلم

فى هـــذا العصر ظاهرة الرقص التى تجرى وسائل كثيرة ومحاولات متعددة لفرضه على الفتاة المسلمة سواء فى المدرسة أو فى البيت أو من خلال التلفزيون والإذاعة ، وتلك عملية خطيرة مرسومة يراد بها إزالة أسباب الثبات والإيمان من النفوس وزعزعته فإذا أضفنا إليها محاولات تدريب الفتيات على الرياضة نصف عاريات فى حلقات الرياضة المدرسية والمقررة عرفنا إلى أى مدى ستحل بالفتاة المسلمة هذه المحاولة من أخطار .

إن الذين يريدون أن يفرضوا على الأمة الإسلامية قيماً ومقدرات وأخلاق غير قيمها مسرفون فى التفاؤل بأنهم قادرون على تغريب الأمة ونقلها إلى أوضاع تتفق مع رغبات الذين يخططون لاحتواء المسلمين وصهرهم فى بوتقة الحضارة المعاصرة ، وهى حضارة قامت على غير قاعدتى الربانية والأخلاق واستعلت بعلمها مغرورة تظن أنها قادرة على التصرف من غير توجيه الدين ، ولذلك فقد أطلقت كلمة (وصاية) على أحكام الدين وحدوده وضوابطه التى وضعها الحق تبارك وتعالى لحماية المجتمعات من الانهيار والفساد ، ونحن نؤمن بأن البشرية محتاجة أشد الحاجة إلى أن تسلم وجهها لله تبارك وتعالى ولا تستعلى عن رقابته .

إن الحضارة المعاصرة قد قصرت فى هذا المجال وأطلقت لنفسها عنان الشهوات واللذات والمطامع تحت عنوان كاذب مضلل هو

(الحرية الفردية) ولا ريب أن الحرية أمر معترف به ولكنها ككل قيمة من قيم المجتمعات والحضارة لها ضوابطها ووسائل حماية الفرد من اغتيال الآخرين لحريته .

ومن هنا فنحن نقف أمام دعاوى الانطلاق التى تتحصن بعبارة رديئة ممجوجة هى مقولة (الوصـــاية) التى رددها أولئك الذين يتجاوزون الحدود التى وصفها الله تبارك وتعالى سواء فيما ينشر من قصص عالمية مسرفة فى الفاحشة ، أو من كتب تفرض على الطلاب أو من أفلام ومسرحيات وأغان على النحو الذى يشتكى منه الأدباء ويرون فيه خطراً على أبنائهم وبناتهم من مسلسلات مسرفة فى الإباحة فإذا كتب أو تكلم ناصح أمين يدعو إلى تصحيح الأوضاع كانت الإجابة فى صلف وغباء (لانقبل وصاية من أحد) والحقيقة أنها ليست وصاية ولكنها مشاركة و توجيه وإشارة إلى حق الله علينا جميعاً فى حماية مجتمعنا وأبنائنا وبناتنا من غائلة هذا الغزو الشديد الخطير الذى يتهددنا من قبل ما يسمى دولة الفن غناء ورقصاً وموسيقى ومسرحيات نحن نعرف المخططات التى تقودها والغايات التى تسوقها والأهداف التى ترمى وراءها إلى تفريغ هذه الأجيال الجديدة واحتوائها بحيث تهدم كل مقومات العزيمة والإيمان والثبات والاخشيشان والقدرة على إعداد النفس المسلمة لتكون قادرة على حماية وجودها فلا تنهار أمام الأخطار المحاصرة للأمة الإسلامية اليوم والتى يتطلب منهاشيئاً آخر غير ما نرى ونسمع ، إننا فى حاجة

إلى إعداد هذا الشباب المسلم ليكون ردءاً لهذه الامة من كل مؤامرات الغزو ، فهذه الأمة تريد أن تعيش على طريق الله تبارك وتعالى وأن تتخلق بأخلاق الإيمان والتقوى ، وأن الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليست وصاية من أحد ولكنها نصيحة الإخاء المفروضة على كل منا إزاء الآخر وإزاء المجتمع حتى لا يأخذنا الله تبارك وتعالى بعذاب من عنده ، عذاب الذين قصروا فى النصح لامتهم وإخوانهم .

إن هناك فارقاً واسعاً وبوناً شاسعاً بين مفهوم الترويح الإسلامى وبين هذا الصخب الهادر غير المنضبط ، فالإسلام يدعو إلى ضبط الغرائز لا إطلاقها وتبريد الشهوات لا تسخينها ، والتوسط فى أمور الترويح والمتاع لا الإسراف وحماية الوجود الإنسانى والكيان البشرى من التصدع والانهيار وأن يظل المسلم دائماً واعياً صاحياً لا يشغل عن حقيقة نفسه ولا عن عباداته وواجباته ، ونحن نقبل كل أدوات الحضارة وصناعاتها ، ولكن لسنا مكلفين بأن نقبل مضامين الغرب فى أى شىء ، سواء فى الفن أو القيم ، ولا يستطيع أحد أن يفرض علينا المضامين أو الكلمات أو الألحان التى يستعملها الغرب والتى لا تتفق مع مزاجنا وطابعنا ، نعم نحن لسنا ضد الفن ولكننا ضد الفحش ، والفن طاقة توظف للخير وقد توظف للشر وحب الوظيفة والهدف يكون التحليل والتحريم ، ولذلك يجب التفرقة بين القيم فى كل مجتمع عن الآخر ، ولسنا مطالبين بأن ننقل الأوضاع نقلا

ولكن لأننا أمة لها تاريخها وقيمها ودينها فإن لنا مفهوماً للموسيقى ، ولنا أيضاً رأى فى كيفية تقديم هذا الفن ، فالإسلام حرم الأصوات المخنثة والألحان المائعة والكلمات المبتذلة، وحرم ذلك الجو المشحون بالسموم والمخدرات الذى ينشى دائماً تلك الأحفال الشهيرة وعندما نقول ذلك فلسنا ندعو إلى وصاية أو هى محاكم التفتيش أو أن هذا منطلق للكآبة أو الظلامة أو غيرها ، بل نحن ندعو إلى انطلاق النفس إلى البشر والسماحة من منطلق داخلى عميق الأثر فى إقامة الترويح .

إن جو الفن فى مصر فى حاجة إلى عمل كبير لتحريره من ظروف خطيرة بدأت فى السنوات الأخيرة تكشف عن نفسها وتتصل بتجارة الجنس والمخدرات والسموم البيضاء وما كشف عنها هو القليل وماخفى كان أعظم ، وما يمكن أن تكون هذه الأوكار مصدراً للخير أو أسوة حسنة أو نموذجاً يقدم لأبنائنا وبناتنا ، كل ذلك فى حاجة إلى إعادة نظر حتى يمكن إعادة المجتمع حقيقة لاستقبال عصر جديد من الإيمان بالله واليقين لقيمه وأخلاقياته الرفيعة حتى يكشف الله عنا الغمة ويزيل سحب الظلام التى تحيط بنا ، وعلينا أن نعلن عودتنا إلى ربنا إليك نعود إلى منهجك الأصيل فليس لها من دون الله كاشفة ؟

رقم الإيداع ٤٥٠٤ /١٩٨٩

مطبعة دار البيان بعابدين